

إذا بتنا التوحيد طاشت عقولهم ... وراموا انتهاشاً مثل قش الأرقام
سيقطعهم عظم احتجاج مقالنا ... على عظيمهم قطعاً كقطع الصوارم
هو الحق ما قلنا شواهد أئت ... تحز مقال القوم حز الغلاصم
تقوم رجال الحق عند قيامهم ... بقوة عزم في انتهاء العزائم
يفادون رغماً لا يجاب مقامهم ... حفاة سارى في أكف الضراعم
يناديهم الهادي هنوا إلى الذي ... جنتهم من التوحيد من كل عالم
هنوا إلى المعنى الخفي وحسبكم ... شواهد ما أبدي لكم في الدعائم
وقنتم بتأويل المعاني ديانة ... على غيره ما قد قيل من كل قائم
ظنتم بأن الطفل يقى لصغره ... وأنسبتم حد البلاغ المكاتم
وأشركتم والشرك كنه لنطقكم ... وأمواج بحر الشرك بين التلاطم
سطلق سيف الحق فيكم لجهنكم ... ويحصدكم كالزرع من غير راحم
وتحويكم أهل الإجابة والتقى ... وتوحيلهم يربو على كل غانم
ويظهر سيف للتبني مشهراً ... على جمعكم والفعل من غير آثم
وما صفوة للمستجيبين تارك ... جهادكم من غير خوف ولا لم
ونشفي غيلاً في الصدور مكنناً ... ونأبى على أنسابكم والتراجم
وتمشون جهراً بالغيار لحنفكم ... وتلقون كل الذل من غير راحم
يكظم هذا الشعر كل منافق ... ويزداد كظماً فوق كظم إلا كاظم

حال الهند الإنكليزية

(معرفة عن مجلة الديبا الأسبوعية)

ليست أحوال الهند كما يرام والحكومة الهندية البريطانية في خوف شديد ورعب زائد. لا جرم أنه يستبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧. لأن الحكومة تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل أمثال هذه الثورات من قبيل الخيال. خصوصاً وأن أسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الأخبار وسهولة المواصلات تساعد الحكومة على توطيد دعائم الأمن والراحة وتضمن لها السكون والهدوء. غير أن الهنديين يحاربون الفاتحين بأسلحة أخرى وسيظلون محاربين لهم أبداً بما وهي: الجرائد. الخطب. الدعوة إلى الثورة.

فهذه الأسلحة الثلاثة يحاول الهنديون نزع الحكم الإنكليزي من أعناقهم. إلا وأن بين سكان آسيا على اختلاف مللهم ولحظهم وتباين عناصرهم وأجناسهم وبين أهل أوروبا نفوراً ليس في إمكان البشر محوه ورفعده.

وإليك ما قاله كيلينك في هذا الصدد: من كتاب الإنكليز ولد في بومبي سنة ١٨٦٥. الشرق شرق والغرب غرب. ولا شيء يجمع بينهما فهما ضدان لا يأتلفان. ويمكن المتعذر كل التعذر أن تنشأ بين ابن الشرق وابن الغرب ألفة حقيقية أو مودة ثابتة أو ثقة تامة. فإنهما يتكلمان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان أبداً أن يتفاهما. وعدم الألفة وقلة الوثام هو الأصل في علائق الشرقيين والغربيين على مدى الأيام. . . .

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وإنكليترا ما يربو على خمسين ألف تلميذ هندي فسعة أعشار هؤلاء غدوا كتاباً وأدباء ومحامين. أما الأطباء والمهندسون والكيماويون فهم بين ثلاثة إلى أربعة آلاف.

ويتخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر ألف هندي وهؤلاء يأتون بلادهم حاملين شهادتهم فيزداد بهم عدد الدارسين المعنمين زيادة مستمرة.

وإن يكن قد خصص هؤلاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الإدارة والمحاكم فليس في هذه المناصب ما يكفيهم جميعاً ومن لم يقدر على الدخول أو يرغب في دخول سنك المعنمين بتلك الرواتب الطفيفة التي تكاد تكون سخوية وهزواً يضم صوته لأصوات الجرائد ورجال السياسة المهيجين فعدد هؤلاء كبير للغاية وهو ينمو ويقوى على الدوام.

فالتربية الأوروبية جعلت الهندين غير راضين وصيرتهم خائفين ناقمين! ينشأ الهندي من المدارس العالية على ذكاء وقاد ونباهة تامة غير ميال للتجارة أو الصناعات فيدخل في برهة وجيزة غمار السياسة وهو حائق على حكومة وإدارة قد غرستا فيه آمالاً كبيرة ومنتته بأحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها. وإذا كان يرى نفسه على مستوى من يحكمون عليه مساوياً لهم في المعرفة والإدراك ولا فرق بينه وبينهم في شيء لا يلبث أن يتمثل أمام عينه ذلك الظلم المهيمن الذي سجل عليه حياة بائسة تحت ربة أناس دخلاء أجنب غرباء مع أن في مكتبته أن يقوم مقامهم في تولى الأمور والمصالح والعمل في شؤون الحكمة والإدارة وقد يفضلهم ويمتاز عنهم من حيث أنه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها، خبير بأمزجتها وعاداتها، واقف على معتقداتها وتصوراتها. . .

يتعلم الهندي في بلاد الإنكليز في أيام الدراسة قواعد السياسة وأصول الإدارة وسيقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الإنكليز فيخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادئ الحكم الذاتي وحكم الأمة نفسها بنفسها وعدم المركزية كما هو الحال في

بريطانيا. والتسليد الهندي يفهم هذه المبادئ كل الفهم ويعتبرها حق العلم ولكنه متى جاء ليطبق أحكامها على بلاده وأوطانه يشعر بأن لسان حال الإنكليز يقول له بأجلى إشارة: ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التاميس ليس كذلك على ضفاف الغانج! وهذا القول يصعب إذا نظر الإنسان إليه بعين إنكليزية أما الهندي فلا يقنعه ذلك ومن هنا ينبعث النفور والحق.

يريد الهنود إما أن يتركوا وشأنهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم وإما أن يحكمهم الإنكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة مليون من البشر سكان الهند رعية إمبراطور الممالك الهندية ومنك بريطانيا. وبعبارة أخرى يطلبون من حكومة الهند أن توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند.

إما الإنكليز وجرائد الإنكليز فيقولون ويجهرون بالقول غير مباليين بأن بقاء الإنكليز وحكمهم عليها هو لأجل مصالح الإنكليز فقط فالهنود محكومون للإنكليز من أجل هذه المصالح وحدها. وما دام الإنكليز في بلاد الهند فصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة فحرصاً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وجباً بالوصول إليها على أكمل وجوها يحكمون هذه المنطقة الشاسعة الأطراف الوسيعة الجوانب ويدبرون أمورها.

ربما ساء للإنكليز أن يقولوا أنهم عمروا البلاد وحسنوا حالها بإنشاء الطرق ومد الخطوط الحديدية وأسلاك البرق وإصلاح الري وسقيا الأرض وفتح أبواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء أسباب الجذاعات وتخفيف ويلاتها. ولكن هذه المواد النافعة لم تأت إلا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد العظيمة

التي خص الإنكليز بها أنفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم إليها لأجل استثمار البلاد وأخذ نتاجها وغلتها. . .

وقصارى القول: إن الإنكليز لم يحكموا الهند من أجل عيون الهنود الكحلأ ولمنفعة الهنديين بل رغبة في مصنعة الإنكليز وحدها. . .

وما من أحد في الغرب يلوم الإنكليز على صنعها هذا. ولكن أليس من البديهي أن يصنع أهل الهند غير راضين عن هذه الحالة.

يقول الهنود: لا يعمل الإنكليز إلا لأنفسهم.

ويجيهم الإنكليز: بأنهم يعملون لأنفسهم وفي عندهم هذا ينفعون البلاد الهندية. فهنا فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير.

وإن الهنود الدارسين في أوربا ليعلمون هذا الفرق ويدركونه وهم لا ينفكون من إلفات أنظار أبناء وطنهم إليه مشوباً بالإعظام والمبالغة. رأى الهنود المتعلمون وعرفوا ماذا حدث وجرى في جزيرة إيرلندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث في الممالك الأخرى فاقتدوا بهم ونسجوا على منوالهم وحذوا حذوهم وقتلوا الأيرلنديين والاجتماعيين والعلميين (سوساليست وآنارشيست) في أعماطهم. .

خذ مثلاً لذلك حادثة عليور سنة ١٩٠٨ وحادثة لورندا سنة ١٩٠٩ (وهي أن دنكرا الهندي قتل السير كرزون ويلي والدكتور لاتقا سنة ١٩٠٩) وغيرهما. . .

فالتيهجون والكتاب والصحفيون من الهنود الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صحائف الجرائد ضد الإنكليز يدعون الناس فيها

إلى طنب الاستقلال في الإدارة (أوتونومي وباهندية سوراجا) ويشوقوهم لمقاطعة البضائع الإنكليزية (بويكوتاج وباهندية سوادشي) كما صنع الأيرلنديون في جزيرتهم. وأضافوا على ذلك عمل الفوضويين أي القتل والفتك الذريع وإلقاء القنابل والأجزاء المفرقة والمواد النارية المتفجرة.

وهذا هو البلاء! فكيف السبيل للوقوف أمام تياره الهائل؟

لم تعد الحكومة الإنكليزية حتى الآن إلا إلى طريقتين: الأولى العزم والرصانة. الثانية: إرضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهنود بشيء من المنافع والمناصب وهم البراهمة الذين ينتصق لهم عامة الدارسين من الهنديين الذين نشأوا نشأة إفريقية.

وربما وجد بين هؤلاء من هو راضٍ عن الإنكليز وحكم الإنكليز. بيد أنهم قليلون جداً لا يتعدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية.

أما جيش الكتاب الصحافيين العرمرم، جيش الناقنين الحانقين، جيش المتعنين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فإنهم يؤثرون في أفكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة.

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء المتحسين وإلى أين يصل وماذا حصل منه. ومعنوم أن التأثير عظيم جداً لاسيما في بنجاب وبنغاله وغيرهما من الأقطار. . .

ومما يساعد على امتداد سيطرة الإنكليز في الهند انقسام الهنديين إلى طبقات متخالفات (كاست وهذه الطبقات لا رابطة بينها ولا ترغب في أن يكون لها رابطة).

ولا يوجد في الهند ما يقال له أمة هندية. وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بعض الإنكليز وهذا الرابطة عبارة عن شعور سني لا يفيد في شيء إن لم يكن مشفوعاً بشعور إيجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الأفكار.

فهذا لا أثر له في الهند. أو لم يوجد بعد. ويختلف الهنود بعضهم عن بعض كما يختلف سكان البلاد المتفرقة في أوروبا.

ثم أن العنصر الإسلامي في الهند راضٍ عن حكومة الإنكليز لأنه هو أيضاً أجنبي. ومن اختلف أن المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلثمائة مليون والهنود يفضون المسلمين بقدر بغضهم للإفرنج تقريباً وزد على ذلك فإن مسلمي الهند محرومون من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود.

فينتج من ذلك أن الحالة في الهند أو في بعض أقاليمها (كبنجاب وبنغال وغيرهما.) ليست على خير وإن كان لا ينبغي إعظامها والمبالغة فيها لأن وجود الطبقات المتخالفات في درجات الاجتماع واختلاف الأجناس والأديان يحول دون ثورة عامة على الإنكليز. وإنكثرا لا تخشى إلا من أن تنور الهند مدفوعة من إحدى الدول العظيمة أو مستددة عليها. خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثني عشرة سنة ولكن المركز خرج على كل حال.

عن نهر الذهب:

عبد الوهاب.